مجلة عصور الجديدة

مجلة فصلية محكمة مصنفة ج يُصدرها مختبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران1

المجلد 11– العدد 1– (مارس) 1442هـ/2021م

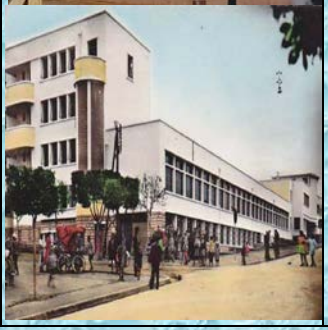

*من سير ملوك الجزائر القديمة:الملك النوميدي "ماسينيسا" (238- 148ق.م).

*قراءة في دبلوم تسريح جندي البحرية سبارتيكو ديوزيني من أسطول ميسينوم.

*دور الجمل "ذو السنّام الواحد"في مجتمعات شبه الجزيرة العربية قديما.

*التشكيلات الاجتماعية بسجلماسة من التأسيس إلى الخراب: مساهمة في رصد جوانب من الديموغرافية التاريخية خلال العصر الوسيط.

*أخلاقيات الكتابة التاريخية عند المؤرخين المسلمين في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، السيرة النبوية أنموذجا.

*بنية المشهد الاجتماعي والثقافي بالغرب الإسلامي من خلال أمثال العامة.

*الجدل الفقهي في الأندلس (ق 4هـ - 6هـ/10م-12م) بين بساطة مسائله وتجديد وسائله.

*الزراعة بالأندلس من خلال كتاب نفح الطيب: دراسة في الإمكانات والخصائص.

*مالكية المغرب والأندلس في العصر المرابطي وإشكالية الاجتهاد- مقاربة نقدية.

*نُظُمُ الإدارةِ والدواوينِ في الهند على عهد سلطنة الخلجيين (689- 720هـ/1290-1320م).

*قبيلة الخُلْط ودورها السياسي خلال عصر دولة الموحدين (515-667هـ/ 1121-1269م).

*دراسة وتحقيق مخطوطة " شجرة نسَب التحقيق من سيدي عبد القادر بن محمد إلى أبي بكر الصديق" لمؤلف مجهول.

*حركة الجهاد الإسلامي في إسبانيا خلال الفترة الممتدة من 1499م وإلى غاية سنة 1609م: "الآليات والدوافع".

*انسلاخ يهود الجزائر عن المجتمع المحلّي (24 أكتوبر 1870): الجذور والبواعث.

*التاريخ السياسي والثقافي لمنطقة جيجل من خلال جريدة لورفياي جيجليان من سنة 1934 إلى غاية سنة 1950م.

*ثقافة المقاومة للاستعمار الفرنسي والإصلاح في الشعر القبائلي خلال القرن التاسع عشر: شعراء مشدالة نموذجا.

*من المعارك الكبرى للولاية الخامسة التاريخية: معركة الشوابير الشهيرة بـ"ديان بيان فو الثانية"- 3 أكتوبر 1956م.

*نماذج من شهداء بلا قبور بمنطقة سيدي بلعباس خلال ثورة التحرير الجزائرية(1954-62)

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324

مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 11- العدد 1 (مارس) 1442هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

مدير المختبر ورئيس التحرير:
أ.د. عبد القادر بوباية- كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران 1 أحمد بن بلة
الهيئة العلمية للمجلة:
أد. محمد البركة- جامعة سيدي محمد بن عبد الله- الكلية متعددة التخصصات- تازة- المغرب
أ.دة. فتيحة سيفو- كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1 أحمد بن بلة
أ.د إبراهيم جدلة- أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب والفنون والإنسانيات- جامعة منوبة - تونس
د. محمد حقي- كلية الآداب- جامعة السلطان مولاي سليمان- بني ملال- المغرب
د. خالد صقلي- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة ظهر المهراز- فاس- المغرب
د. امحمد بوشريط- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر
دة. نوال بلمداني- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر
د. العربي بلعزوز- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف
د. سعيد بن حمادة- المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين- مكناس- المغرب
د. مختار بونقاب- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر
د. يخلف حاج عبد القادر- كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1 أحمد بن بلة
أ. د. مصطفى مغزاوي- كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية- جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف
دة. ستي صندوق- كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1 أحمد بن بلة
دة. أم الخير عثماني- كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية- جامعة خميس مليانة

مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 11- العدد 1 (مارس) 1442هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

فهرس الموضوعات

*كلمة مدير المختبر ورئيس التحرير.....أ.د عبد القادر بوباية/ص8
المقالات باللغة العربية:
*من سير ملوك الجزائر القديمة: الملك النوميدي "ماسينيسا" (238- 148ق.م).....
.....خالدية مضوي- الجزائر/ص10
*قراءة في دبلوم تسريح جندي البحرية سبارتيكو ديوزيني من أسطول ميسينوم.....
.....بوزيان موساوي- محمد الحبيب بشاري- الجزائر/ص36
*دور الجمل "ذو السنّام الواحد"في مجتمعات شبه الجزيرة العربية قديما.....
.....نادية ماجي- أم الخير العقون- الجزائر/ص 55
*التشكيلات الاجتماعية بسجلماسة من التأسيس إلى الخراب: مساهمة في رصد جوانب من الديموغرافية التاريخية خلال العصر الوسيط.....حميد اجميلي- المملكة المغربية/ص80
*العمران الديني في الحاضرة الجهوية تيهرت/تاقدمت خلال العصر الإسلامي الوسيط: شواهد تاريخية وأخرى أثرية تكشف عن الماضي اللاتيني للموقع.....محمود عباد- الجزائر/ص103
*أخلاقيات الكتابة التاريخية عند المؤرخين المسلمين في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، السيرة النبوية أنموذجا.....راوية عبد الحميد شافع- مصر/ص121
*بنية المشهد الاجتماعي والثقافي بالغرب الإسلامي من خلال أمثال العامة.....
.....سعيد بنحمادة- المملكة المغربية/ص144
*الجدل الفقهي في الأندلس (ق 4هـ - 6هـ/10م-12م) بين بساطة مسائله وتجديد وسائله.....
.....محمد صابة- الجزائر/ص176
*الزراعة بالأندلس من خلال كتاب نفح الطيب: دراسة في الإمكانات والخصائص.....
.....أمحمد بوشريط- الجزائر/ص200
*مالكية المغرب والأندلس في العصر المرابطي وإشكالية الاجتهاد- مقاربة نقدية.....
.....أحمد الخاطب- المملكة المغربية/ص 225
*مسيحيو الهند من خلال الإرساليات التنصيرية للرهبان خلال القرنين 13 و14م.....
.....فاطمة زهرة ساعد- عبد العزيز بوكنة- الجزائر/ص253
*نُظُمُ الإدارةِ والدواوينِ في الهند على عهد سلطنة الخلجيين (689- 720هـ/1290-1320م).....
.....حسين إبراهيم محمد مصطفى الجبراني- جمهورية العراق/ص 265
*قبيلة الخُلْط ودورها السياسي خلال عصر دولة الموحدين (515-667هـ/ 1121-1269م).....
.....آية محمد حلمي الجندي- جمهورية مصر/ص292
*دراسة وتحقيق مخطوطة "شجرة نسّب التحقيق من سيدي عبد القادر بن محمد إلى أبي بكر الصديق" لمؤلف مجهول .....مجدوب موساوي- الجزائر/ص304

*حركة الجهاد الإسلامي في إسبانيا خلال الفترة الممتدة من 1499م وإلى غاية سنة 1609م: "الآليات والدوافع".....خديجة دوبالي- الجزائر/ص328
*حركة التأليف التاريخي في بلاد السودان الغربي من ق11ه الى ق12ه/17-18م.....
.....عبد الحميد مقاديم- الجزائر/ص247
*المجاعات والأوبئة وانعكاساتها على الوضع الديموغرافي ببايلك الغرب الجزائري في أواخر القرن الثامن عشر.....محمد الصديق بولغيث- بن عمر حمدادو- الجزائر/ص363
*التراث المحلي المخطوط في اهتمامات "الجمعية التاريخية الجزائرية".....
.....عبد الجليل رحموني- الجزائر/ص377
*تكتيك حروب الكر والفر في معارك قادة المقاومات الشعبية المغاربية: "ابن محي الدين الجزائري وابن عبد الكريم المغربي".....حنان مرج- بلقاسم ميسوم- الجزائر/ص392
*انسلاخ يهود الجزائر عن المجتمع المحلّي (24 أكتوبر 1870):الجذور والبواعث.....
.....العربي بلعزوز- الجزائر/ص415
*التاريخ السياسي والثقافي لمنطقة جيجل من خلال جريدة لورفياي جيجليان من سنة 1934 إلى غاية سنة 1950.....نبيلة بن يحيى- محمد أوجرتني- الجزائر/ص440
*النشاط السياسي بمنطقة تيارت إبان الاحتلال الفرنسي على ضوء وثائق أرشيفية.....
.....فاطمة حباش- الجزائر/ص461
*ثقافة المقاومة للاستعمار الفرنسي والإصلاح في الشعر القبائلي خلال القرن التاسع عشر: شعراء مشدالة نموذجا.....يسمينة سعودي- الجزائر/ص482
*جوانب من نشاط الحركة العمالية والنقابية في منطقة سيدي بلعباس 1889-1939.....
.....سيف الدين بوسماحة- سعاد يمينة شبوط- الجزائر/ص503
*مكانة التاريخ في المشروع الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال جريدة البصائر 1935- 1956.....مالكي جمال- هزرشي بن جلول- الجزائر/ص523
*من المعارك الكبرى للولاية الخامسة التاريخية: معركة الشوابير الشهيرة بـ"ديان بيان فو الثانية"- 3 أكتوبر 1956.....عيسى بوقرين- الجزائر/ص540
*نماذج من شهداء بلا قبور بمنطقة سيدي بلعباس خلال ثورة التحرير الجزائرية (1954-1962).....
.....عبد الحق كركب- الجزائر/ص556

المقالات باللغات الأجنبية:

Toukmati Ibtissem- Abdelaziz BELFAIDA- Rabiâ HAJILA- Maroc- Contribution à l'étude des facteurs de dégradation du site Archéologique de Banasa (Bassin du Gharb, Maroc NO)……584
Ellefi Mohamed- Tunisie- Remarques sur la romanisation du *Byzacium* (centre-est de la Tunisie..... p606

مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 11- العدد 1 (مارس) 1442هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

***Hassam Soraya- Algerie- Les relations culturelles entre les régences d'Alger et de Tunis pendant la période moderne…….....p635**
***Bedeb Kheira- Algerie- Honor y religión en la obra de Calderón de la Barca……664**
***Allaoua Noria- Algerie- Emancipation Proclamation of the United States of America: A humanitarian Motive or Military Imperative.....p681**
***Kadem sofiane- Snouci Mberbech- Algerie- The Impact of the Suez Crisis (1956) on the 'Special Relationship' between USA-UK.....….p697**

OUSSOUR AL - JADIDA REVUE

Trimestrial Scientific Revue- Classified C- edited by History of Algeria Laboratory- Oran1 University

Vol.11 Issue 1 -March 1442/2021

*Toukmati Ibtissem- Abdelaziz BELFAIDA- Rabiâ HAJILA- Maroc- Contribution à l'étude des facteurs de dégradation du site Archéologique de Banasa (Bassin du Gharb, Maroc NO).

*Ellefi Mohamed/Tunisie- Remarques sur la romanisation du *Byzacium* (centre-est de la Tunisie).

*Hassam Soraya/Algerie- Les relations culturelles entre les régences d'Alger et de Tunis pendant la période moderne.

*Bedeb Kheira/Algerie- Honor y religión en la obra de Calderón de la Barca.

*Allaoua Noria/Algerie- Emancipation Proclamation of the United States of America: A humanitarian Motive or Military Imperative.

*Kadem sofiane- Snouci Mberbech/Algerie- The Impact of the Suez Crisis (1956) on the 'Special Relationship' between USA-UK

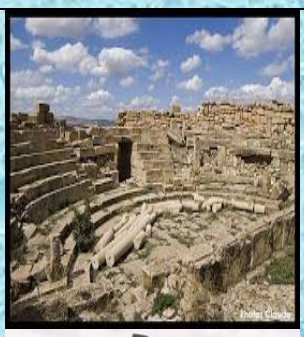

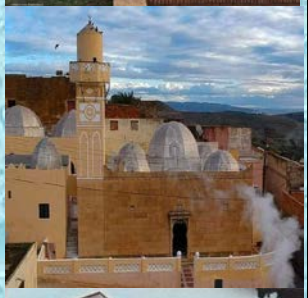

EISSN 2600-6324 **ISSN 2170–1636 ردمد**

Directeur du Laboratoire et Rédacteur en chef: Boubaya Abdelkader - faculté des sciences humaines et sciences islamiques - Université Oran1 Ahmed Ben bella

Comité scientifique de la revue:

Pr.Sifou Fatiha -faculté sciences humaines et sciences islamiques- Université Oran1 Ahmed Ben Bella.

Dr. Manzano Miguel Angel - Universidad de Salamanca - Espana

Dr. Francisco Franco Sanchez- Universidad de Alicante

Dr. Markria Souhila - Université Abdelhamid Ben badis – Mostaganem.

Dr. Khineche Soumia - Université Abdelhamid Ben badis – Mostaganem.

OUSSOUR Al Jadida Revue- Classified C- Vol.11 N°1 (March) 1442/2021
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

Contents

***Toukmati Ibtissem- Abdelaziz BELFAIDA- Rabiâ HAJILA- Maroc- Contribution à l'étude des facteurs de dégradation du site Archéologique de Banasa (Bassin du Gharb, Maroc NO)…….……p584**

***Ellefi Mohamed- Tunisie- Remarques sur la romanisation du *Byzacium* (centre-est de la Tunisie)…….....p606**

***Hassam Soraya- Algerie- Les relations culturelles entre les régences d'Alger et de Tunis pendant la période moderne……...p635**

***Bedeb Kheira- Algerie- Honor y religión en la obra de Calderón de la Barca……p664**

***Allaoua Noria- Algerie- Emancipation Proclamation of the United States of America: A humanitarian Motive or Military Imperative. ……p681**

***Kadem sofiane- Snouci Mberbech -Algerie- The Impact of the Suez Crisis (1956) on the 'Special Relationship' between USA-UK…….....….p697**

مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 11- العدد 1 (مارس) 1442هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ثقافة المقاومة للاستعمار الفرنسي والإصلاح في الشعر القبائلي خلال القرن التاسع عشر: شعراء مشدالة نموذجا.

The Culture of Resistance to French Colonialism and the Reformation in kabylie Poetry during the Nineteenth Century"M'chedelah poets as a model"

اسم ولقب المؤلف المرسل: يسمينة سعودي- Saoudi Yasmina صص 482-502
الدرجة والعنوان المهني: أستاذة محاضرة أ- قسم التاريخ- كلية العلوم الإنسانية- جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله- الجزائر/البريد الإلكتروني: saoudiyasmina248@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2020/12/09 تاريخ المراجعة: 2021/01/07 تاريخ القبول: 2021/02/07

الملخص: تعددت مظاهر المقاومة عند سكان مشدالة؛ فهناك من كان يواجه الاحتلال بالسلاح ، وهناك من اختار الكلمة والشعر كوسيلة للدفاع عن قضايا وطنية، وتخليصها من جبروت الاستعمار.

كان الشعر وسيلة للتعبير عن آهات ومعاناة مجتمعهم بالتذكير لملاحم أبطالهم، ولهذا أصبح أداة مهمة في تعبير المجتمعات عن أحداثها التاريخية والاجتماعية والدينية، بل وأصبح مصدرا مهما للكتابة التاريخية، ولهذا كان شعر المقاومة في منطقة القبائل وبخاصة مشدالة مرافقا لأول يوم دخل فيه المستعمر، مُسجّلا لأحداثها ومصورا لمآسي حربها، وناصحا لقادتها ومُمجِّدا لبطولاتهم، وهذا ما جعله أداة تعبير عن طموحات السكان في أبعادها التاريخية والاجتماعية والدينية والإنسانية، لأنها كانت مصدرا حيا لنضال القبائلي الثائر في وجه المستعمر، دفاعا عن أرضه وكرامته وإنسانيته، ومن إفرازات السياسة الاستعمارية أيضا مصادرة الأراضي، التي كانت مصدر رزق العائلات، وهو ما آل بالسكان بعد ذلك إلى الهلاك في المجاعات التي ضربت البلاد في بداية الستينيات، بينما كانت هذه الظروف العصيبة محلّ إلهام العديد من الأهالي.

شهد عرش مشدالة الواقع في جبال جرجرة بولاية البويرة، نبوغ شعراء في الشعر القبائلي خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، ورفعوا قضايا وطنية من أمثال أعمر ولحاج، وسي موح وسعيد من بني كاني، ولالة خليجة... وآخرون، الذين نظموا أبياتا شعرية عن المجاعة، والخطر الذي يهدد لغتهم.

الكلمات المفتاحية: الشعر؛ الشعراء؛ المصادر التاريخية؛ مشدالة؛ المجتمع المشدالي؛ المجتمع القبائلي؛ المقاومة الثقافية؛ الإصلاح؛ المعاناة؛ السياسة الاستعمارية.

Abstract: *There are different forms of revolt among the people of M'chedellah. There are those who have defended with weapons, and others have chosen poetry as a means to defend the national cause and to extract it from colonial jogue.*

Thus poetry was a means of expressing the groans and suffering of their society by reminding them of the epics of their heroes, and that is why poetry became an important tool in societies expressing their historical, social, and religious events, and even became an important source of historical writing. That is why we find that the poetry of resistance in the Kabylie region, especially M'chedellah, was accompanying the first day The colonizer entered it, recording its events and depicting the tragedies of its war, advising its leaders and glorifying their heroism. And from the repercussions of the colonial policy also, the confiscation of land, which was the source of livelihood for families, which led the population after that, to the perdition of the famines that struck the country in the early sixties, while these difficult circumstances were the inspiration for many of the people.

The arch of M'chedellah which is located to the south of the mountain of Djurdjura (Bouira currently) gave birth to poets of national renown in Kabyle poetry, one can quote among these poets Ammar Oulhadj, si mohand ouaid de beni kani (takerboust) and without forgetting Lala Khlidja… and many others, they have composed poetic texts on famine, and the danger which cheers their language

Keywords: poetry; poets; historical sources; M'chedellah; M'chedel society; kabyle society; cultural resistance, reform; suffering; colonial policy.

المقدمة: تحتل مشدالة[1] موقعا استراتيجيا هاما مما جعلها أن تكون من أهم جهات منطقة القبائل خاصة وأنها بوابة الى الشرق الجزائري، ومترامية على وادي الساحل ممتدة من مدينة حمزة الى وادي الصومام، مما جعلها أن تكون محل اهتمام من القادة العسكريين الفرنسيين في ظل الاحتلال وتوسيع دائرة الاستيطان بها، لما توفره من جودة الأراضي ووفرة المياه، مع التركيز على العنصر البشري فيها لحياكة "الاسطورة القبائلية" لتثبيت سياسة فرق تسد. مما دفع بالمنطقة ان تعيش تحولا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، هذه الخصائص جعلت منها أن تكون منبت للشعراء الشعبيين الذين اتخذوا من الكلمة للتخاطب والتثاقف، وللتعبير عن مشاعرهم، كانت أفراحا وأحزانا، ويتجلى لنا ذلك من خلال الرصيد الشعري المنظم في حقبة الاحتلال الذي يبرز مكانة هذه المنطقة ودورها في مجابهة فرنسا

وأساليبها المقننة لزرع الفتنة والتشتيت وضرب تلاحم الشعب الجزائري، وحارب فيها كل منارات العلم من مساجد وزوايا ومدارس، إلا أن ذلك لم يحط عزائم المشدالين لإدراكهم أن بالعلم يصنع المجد، ومن هذا المنطلق سنحاول التوقف عند هؤلاء الرجال الذين صنعوا من الكلمة سلاحا للمقاومة، فيا ترى من هم هؤلاء الشعراء؟ وما هي الأبعاد التي حملها شعرهم؟

نسعى من خلال هذا البحث إلى إبراز قيمة الشعر الذي يعتبر من المصادر الشفهية المهمة في كتابة التاريخ، ودور شعرائنا من خلال شعرهم في النضال والمقاومة، والذي حمل لنا صورا حول المستعمر، كما نسعى لنفض الغبار على من وقف ضد المستعمر بالكلمة، لتعريفهم للجيل الجديد، وترسيخ أفكارهم لديهم.

1- إسهامات الشعر ودوره كمصدر للكتابات التاريخية:

1-1 التعريف بالشعر: يعتبر الشعر من الأدب الشعبي الجزائري، ومصدرا من مصادر التاريخ الهامة، بل يعتبره مولود معمري أنه الذي يخلق شاعرا عالميا، ومثال ذلك الشاعر سي محند أومحند[2]. وهو أيضا حقل غني متنوع في لهجاته وأشكاله ومضامينه التي أثرت الفولكلور الجزائري، وذخائره لا تختلف عن ذخائر الأدب العالمي، والذي يحتاج إلى جهد وأعمال فردية وجماعية لجمعه وتدوينه ودراسته.

إذ يُمثل قوة دافعة لفهم واستنباط مفاهيم ومعارف ومحيط وأحوال الناس في فترات تاريخية مختلفة، إذ يرفع ذلك الشعر صدق التعبير وعمق الأصالة إلى حد جعله يمثل بُعدا استراتيجيا يجب عدم إغفاله في عملية تشكيل الحاضر وبناء المستقبل، وضرورة حتمية لا غنى عنها مما تقع مسؤولية كبيرة على عاتق الباحثين.

وإذا كان لم يُقدّر للأمازيغية أن تتداول كتابته على نطاق واسع؛ فإنّ ذلك جعلها تعتمد على الرواية الشفهية في تبليغ رسالتها إلى المتلقين فتهيأ لكثير من النصوص الشفهية أن تتداول على ألسنة السكان أو تغنى في المناسبات المحلية أو عبر الوسائل السمعية أو البصرية، ويمكن اعتبار ذلك نصوصا مكتوبة تقرأ بالسماع[3].

وهو ما سيظهره هذا العمل من خلال إيراد نماذج عن الشعر الأمازيغي الذي خدم الكفاح الجزائري إبان الاحتلال، وحافظ على هويتها.

ومن عادات سكان القبائل أن يتغنى الرجل أو المرأة بمختلف الأشعار المعروفة بـ"أَشْوِيقْ وأَحِيحَا، وأَذْكَارْ، وأَمَدَّاحْ، الجوّال"؛ فترى المرأة مثلاً تغني عند ترتيبها لبيتها، عند تنويم صغيرها، تغني على اغتراب زوجها... عند القيام بالأعمال خارج البيت من جني للزيتون، أو أعمال بالحقل... وتغني في الأعراس والمناسبات الدينية... فيكاد الشعر الغنائي يكون ملازمًا لها في كل الظروف[4]، أحيانا يعتمدون على الصوت فقط، وأحيانا أخرى يعتمدون على اللحن؛ فالفرد القبائلي ذو التقليد الشفوي يتّسم بتوقّد الذاكرة، إذ تعوّد على استخدام ذاكرته منذ الصغر، وقد يبلغ درجةً عاليةً في الحفظ والتخزين يعجز عنها الفرد المثقف، هذا الذي يملك ذاكرة هشة بالاعتماد على المكتوب[5]...، فكانت الأشعار إحدى الوسائل التي يروح بها الشخص عن نفسه، فيرمي إلى إيضاح كل ما هو غامض، ويقول جون عمروش في ذلك: "إن الشاعر القبائلي هو صاحب موهبة الشعر، أي جعل ما ليس واضحًا بيّنًا ومعقولاً... سواء كان أمداحا أو أفراحا...؛ فهو يلعب دورا اجتماعيًّا معتبرًا، وله رسالة مهمة...؛ فهو من بين ذلك بعيد الشدو، وصاحب بصيرة"[6].

ونظرا لتلك البصيرة والكلام الثاقب فالشاعر لا يدري أنه بصدد ترك رصيد تاريخي ستعتمد عليه الأجيال اللاحقة، لإعادة رسم معالم وجوده بالتوقف عند جوانب عديدة من حياته وأوضاعه في الفترة التي تزامن ذلك الشعر، تقول تاسعديت ياسين في هذا الصدد: "ينبثق الإلهام الشعري أو الإبداع الفني لدى الشاعر أو الأديب أو الرسام من المصادر الآتية[7]، وأهمها: الطبيعة والفضاء والزمن والرحلات والحلم والخيال والتجارب الإنسانية[8]. وهذه التجارب جعلته حكيم زمانه، ميزته أنه لا يكرّر نفس المعاني والألفاظ، حيث يقول هانوتو: "إني أعرف من القبائل من يمكنه رواية أشعار ليوم كامل من دون الوقوع في التكرار والتردد، وقد امتحنتهم... طلبت منهم إعادة أشعار...؛ فلم أجد أبدا أي خلط أو تغيير..."[9].

2.1 الوضع الثقافي بمشدالة: تميز الوضع الثقافي بمشدالة ببروز من أتقن لغة المستعمر، وحاول الكفاح بطريقته، فكان "المارزوشي" من قرية أهل القصر، الذي كثيرا ما اعتمد عليه السكان في ترجمة شكواهم من القبائلية إلى العربية، أو من القبائلية إلى الفرنسية؛ فقد استنجد به مجموعة من سكان سبخة سنة 1884م ليحرر لهم شكوى بخصوص أرضهم المغتصبة[10] بمقتضى قانون سيناتوس كونسولت[11]، فإن كانت اللغة وسيلة المثلى للتخاطب فإن المعارف والثقافة في الدين أمورا نبغ فيها أحمد أوتومي[12] من قرية أولاد

إبراهيم، الذي حارب المحاولات التمسيحية الفرنسية في مسجد قريته الشاهد على حكايات التصدي للمستعمر، كما كان حاج موح بن حميطوش[13] في قرية بني كاني دوار أغبالو، الشخصية المثقفة التي وقفت أيضا ضد المشاريع الفرنسية، حيث عرفت الشخصيتان كيف تتعاملان مع الفرنسيين، إذ أعجب المستعمر بهما فكرمهما كأحسن مثقفين[14] في بلدية بني منصور المختلطة[15] سنة 1884م. وإن كان لهؤلاء نصيب من العلم واستثمروه في الوقوف ضد المستعمر؛ فإن هناك من وهبه الله اللسان الفصيح؛ فاستعمل الكلمة لرسم ملامح ومعالم وجوده لتتعدد هذه المعالم في مشدالة إبان الاحتلال الفرنسي لتبرز أسماء في مجال الشعر ليستعمل كوسيلة للتحدي والتصدي.

منذ احتلال العاصمة الجزائرية سنة 1830م، وما حملته أجندة المستعمر في الاحتلال التدريجي للجزائر عامة ومنطقة القبائل خاصة، التي بدأت في عهد الجنرال بيجو، وتواصلت في عهد الجنرال راندون، وقد رافق هذا الاحتلال تطورا فكريا لدى شعراء المنطقة في شعرهم المقاوم، إذ يبرز كفاح القبائلي من أجل تحقيق حياة أفضل ضمن مبادئه و روحه الإنسانية.

3.1 إسهام الشعر في إظهار وحشية الاستعمار: كان شعر المقاومة في مشدالة مرافقا لأول يوم دخل فيه المستعمر مسجلا لأحداثها و مصورا لمآسي حربها، و منصحا قادتها وممجدا لبطولاتهم، وهذا ما جعله أداة تعبير عن طموحات السكان، في أبعادها التاريخية والاجتماعية والدينية والإنسانية، لأنها كانت مصدرا حيا لنضال القبائلي الثائر في وجه المستعمر، دفاعا عن أرضه وكرامته وإنسانيته، حيث ساهم الشاعر القبائلي عموما والمشدالي خصوصا إسهاما كبيرا في بث الجهاد وروح المقاومة لدى السكان، ضد أساليبه الاستغلالية، وسياساته الوحشية والإبادية التي طبقها على السكان، حيث جرده من حقوقه وأملاكه، وحق إنسانيته، فأرضخه بقوة الحديد و النار، فكانت تلك الأحداث مصدرا لإلهام البعض نذكر من بينهم الشاعر الحاج أعمر أولحاج[16]، الذي ولد في القرن 19 بقرية مشدالة، وكان كثير الترحال بين المدن الجزائرية، وقد صادف تواجده بالعاصمة يوم سقوطها فنظم شعرا متحسرا للأمر قائلا[17]:

أَيِخْفِيوْ أَكَّرْ أُرَقَانْ أَشَّـــــكَ يْـــلَانْ
أَمَـــــــكْ أَكَّ إِكْيَغْضَـارْ يِـضَـسْ

لَعْبَـاذْ فْنَـــــانْ سَنْسَدْ أُيَزْمِيرْ ثِمَسْ

وترجمته[18]:

أيتها النفس انهضي لا تـنـــــــــامي

ماذا هناك كيف انخدعت بالنـــوم

العباد انتهوا قضوا الليل بالحرب والنار

ويضيف عن ذلك اليوم المنحوس الذي سقطت فيه الجزائر البيضاء قائلا[19]:

غَفَسْمِ دْيَفَاغْ أُقَرْصَانْ أَفْرَنْسِسْ يَقْوَانْ

إِحشْذَدْ لَجْيُوسْ إِنَـسْ ثُورَ هَاثَنْ

عَزْبَنْ سْغَنَّانْ الجَزَايَرْ تُشْبِيحْثْ ثَكَّاسْ

وترجمته[20]:

عن اليوم الذي خرج فيه الفرنسي القوي

حشـد بجيـوشـــــــه هـا هـــو الآن

وهـــــو يـــــغـــني الجزائر الجميلة احتلت

ولم يتقبل الشاعر الوضع؛ فقد انتقل بنفسه إلى العاصمة قاصدا دار السلطان لعله يجد هناك مقاومة، ولكن الحسرة دبّت في نفس الشاعر، واقشعرّ بدنه لما وجد دار السلطان فارغة فقال[21]:

أُولِيغْ غَارْ الدَّارْ السَّلْطَانْ ذِقْكَاثَنْ الدِّيوَانْ

أُفِيـغْ ثَقْنِيسْتْ تَفْـــرَسْ أَمْلاَحْ إِنْزَ لمَانْ

وترجمته:

صعدت إلى دار السلطان أين يوجد به الديوان

وجـدت الأمـــور انتهت وغـاب الأمـن هنـاك

ويضيف الشاعر واصفا وحشية الاستعمار لما انقضّ على المدينة، مستوليا على أموالها ومخازنها، ومفرقا سكانها بقوله[22]:

لَمْخَازَنْ نْوَذْرِيـمْ يَـلاَنْ نَدْهَبْ يَشْلَوَانْ

يِوَّثَنْ أَكْ أَبْغِيرْ أَلْحَسْ

لَبْرُوجْ الزِنَـــدْ أَمْيَثْرَانْ عَذْمَنْ إِمَوْلاَنْ

إِكَشْمِثْنْ إِمْغَطَسْ

وترجمته:

خزائن ممتلئة بالأموال بالذهب المرصع

أخذهم بدون ضجة

البرج أحيطت بالنجوم حطموا أهلها

دخلها المتغطرسين

ولم يكتف الشاعر بوصف ذلك، بل إنه أبدى تعجبه من الوسائل المدمرة التي استعملها المستعمر، من مدافع وأسلحة فتاكة تضفي جوا مظلما على المدينة قائلا[23]:

لَمْدَافَعْ لَدِيَزُغُـوزْ يَسْنَاسَنْ أُمَكْفُورْ

مِـــــيَـــــوَّثْ أَذْيَسْبَكْ لَغْمَامْ

وترجمته:

يجر بالمدافع يتقنها جيدا الكافر

عندما يطلق تتكاثف الغمام

ويضيف:

سَلْبُومْبَ ذْلْكُـورْ مَبْعِيذْ إِدِرَسْ طْلاَمْ.

وترجمته: بالقنابل القاتلة من البعيد يقترب الظلام

ومر هذا التدمير و الاحتلال بمراحل حتى وصل إلى منطقة القبائل قائلا[24]:

كُلَّاسْ يَسْقَـدِمْ سَـرْجِـــلْ يُقَارْ أَرْمَلْ

يِوَانْ يِيظْ يَكزْمِتْ أَكْ ثَرْسْ أَمَجْرَاذْ أَيْذيَسْحَلْ

يَشَّادْ لَعْبَاذْ أَمَثْمَسْ

وترجمته[25]:

كل يوم يتقدم في احتلاله عدده يفوق حبات الرمل

وطلقوا الليل وقطعوها أرضا كالجـراد يرتحـل

التهم عبادها كالنار

كان الشعر سبيل هؤلاء لرسم وحشية الاستعمار، ولم يخرج الشاعر سي محمد سعيد أوسيد على أوعبد الله المولود بقرية بني مليكش الواقعة اليوم بتازمالت واصفا دخول

بيجو منطقة مشدالة، وما خلفه في وادي الساحل من دمار إلى درجة قضائه على كل المقاومين، فقد تحسر الشاعر للأمر قائلا[26]:

يَسَالْ يَزْرِ بْحَالْ سْدُودْغَفْثِينْ يَضْرَانْ أَبْرِيذَ
سِي أحْنِيفْ أَرْ بُمَسْعُودْ يِوَانْ وَارْ يْعُودَا
إِزْقَــازَنْ يْــلَانْ ذْلَسْيُودْ ثُورَ ثُقْلَسَنْ ثْبَرْذَ

وترجمته:

أدمعت العين كالسدود على ما حدث هذه المرة
من أحنيف إلي بومسعود لا أحد سلك
الرجال الذين كانوا أسيادا الآن حملوهم البردعة

بينما تحدث قاسي نات أويحيى من عدني التابعة للاربعاء ناث يراثن[27] عن همجية المستعمر الذي كثّف أعماله التخريبية، والذي تطاولت يده لجلب الأطفال من قرية بهاليل الواقعة حاليا بأغبالو التابعة لمنطقة مشدالة إلى منطقة الأربعاء ناث يراثن، وذلك في هجومهم على القبائل ما بين 1854- 1857م فاتّهم الأتراك إلى ما آلوا إليه[28]:

أَيَغْ إغْمَّــنْ ذِغَـلَّـــنْ فْكَانْ الْهَرْبَة أَمُولِ
إِحُــوزَدِ أَرَاشْ ثِخْذَايِينْ سَقْبَهْلَالْ إِثْنِدْيَبِ

وترجمته:

كانــوا الأصحاب اتخذوا الهروب كالغنم
الأطفال والبنات جلبهم من بهاليل

4.1 إسهام الشعر في إظهار أوضاع السكان: لم يكتف الشعراء بإظهار همجية المستعمر، وراحوا يصفون وضعية السكان المتردية بسبب سياسات المستعمر، فكانت سياسة مصادرة الأراضي التي أفرزتها مقاومة الشيخ المقراني والحداد المعضلة الكبرى عليهم، لأنها تعد مصدر رزقهم، والتي أصبحت في يد المستعمر، ولا يزال هذا العام ماثلا بالذاكرة الشعبية، ولا يزال بعض الأهالي يعرفون حدود ممتلكاتهم التي افتقدها أجدادهم، فهذا الشاعر الشعبي يبكي، ويتحسّر على ضيعته "بُوغَنّام" التي كانت تنتج القمح والشعير، وترعى فيها الأغنام والأبقار، فصارت مزرعة لكروم الخمور ومرتعا للخنازير.

أَوِين إِسْوَحِيذَنْ أَخَلاّقْ

إِوَحْذِيثْ ذِثْمُورثْ نَبُوغَنَّامْ
أساكَدْ إِرْذَنْ ثِيمْزِينْ
ثُوَرا ثُوغَالْ ذَافَرّانْ
رَانَاسْ أَمَانْ ذَقْسَاوَنْ
أَكَّنْ إِقْخَدَّمْ الشّيطَانْ[29]

وترجمته:

يامن يؤمن بالله
يستغرب عن بلاد بوغانم
التي تنتج القمح و الشعير
أصبحت مزرعة للكروم
تسقي إلي الأعلى بالماء
فعلته كأفعال الشيطان

تميّزت نهاية القرن التاسع عشر بصدور القانون المدني بعد اعتلاء الحاكم قايدون سدّة الحكم، وقد وصف سارتر (Sartre) الحكم متهكّما بأنه مزية من مزايا فرنسا، ونعمة من نعم المدنية الغربية، وكان ذلك سببا كافيا لكي ينظم فيها شعرا بعد الغيظ الذي أثاره في نفسية الشاعر الشعبي بقوله[30]:

قالُوا جَاتْ اليُومْ قَوانِينْ جْدُدْ حُكْمْ شَرْعْ جَدِيدْ مَا رَاتْهُ الأعْيانْ
اللّي يَحَبْ العَيْشْ لَفَرَنْسا يَسْجُدْ واللّي يَقُولْ عَلاَشْ يَدُّوهْ لْكَيَانْ
مَا ابْقَى لاَ خَليلْ لاَ شَرْحْ مَقَيَّدْ لاَ طَلْبَةَ تَفْتِي بآيات القُرْآنْ

ويهدف القانون إلى القضاء التام على الكيان الجزائري بمحو لغته وتاريخه، وكل ما له صلة بذاته، وذلك بتهديم البنية التحتية للمجتمع، حيث قسّم الأعراش والعائلات، وأجبرها على حمل ألقاب جديدة، بعضها مُخجِلة لزمتها أبد الدهر، واستبدل أسماء المدن والقرى بأسماء أجنبية.

ومن إفرازات السياسة الاستعمارية أيضا مصادرة الأراضي، التي كانت مصدر رزق للعائلات، وهو ما آل بالسكان بعد ذلك إلى الهلاك في المجاعات التي ضربت البلاد في بداية الستينيات، بينما كانت هذه الظروف العصيبة محلّ إلهام العديد من الأهالي، واعتبرت

الفترة من أحلك الفترات التي مرت بها المنطقة خاصّة، وإن كان التمييز والظلم ظاهرا في الطبقة الاجتماعية، حيث أعيان الإدارة عوض التخفيف من الأزمة واصلوا تطبيق السياسة الفرنسية في جمع الضرائب، وهو ما أثار غضب المرابطة لالة خليجة المولودة بقرية إبلبارن بمشدالة[31]، ووصفت الوضعية المزرية في شعرها القائل[32]:

أَوِي شْفَان أَهَاث تَزْرِيظْ
أسْمِ إخْتْحُوز الكُلْفة
مِدنَجْبَ سْيَ سَشَمَاشْتْ
مِ غَرْذِين ثْبَدَّلْ الصِّفَة
غْرِيظ يَبْرَادْ رَبِّ إسْخِيظْ
ثْرَعَذْ ثَقنَاوَثْ ثَصْفَ
غُرْنَاغ لَحْبَابْ ذلْمْشْرَظِ
كُولْ وَ أَمَلْقَايذ إثْنُفَ
ذِ لَبْسَ نَكثَارْ ثَظوطْ
كْنِ نَضْحَادْ نَسْثَعْفَ
أَزِّينَ ثْزْدَادْ أغَرَ لْحِيظ
دْنَاجَوْ ذِلَقُفة

وترجمته:

يَا مَنْ يتذكر ربّمَا تعرف
عندما أَلّمتْ بنا المُصيبة
عندما وصلنا أشرقت (عندما كان الحكم في أيديهم)
لكن هناك تغيرت الظروف
عند الليل أطلق الله ويلاته
الرعد يقصف والسماء صافية
لدينا أحباب مشروطين (تقصد بهم هؤلاء الأعيان).
كل وفي اللباس أكثرنا الصوف (لباس الصوف ارتدينا)
أحد وجدناه كالقايد

فنحن أصبحنا من المرتاحين
والصفوف متراصة إلى الحائط
لكي نزن للقفة
وكانت الولية الصالحة تناجي ربّها من إيقاف الويلات قائلة:
أَمْعِيشْ ذلْقَاعْ أُوّجِيظْ انشالَّه أَتْسْكُفُ الشّـدَّة
وترجمته:
الغذاء في قاع المحمل إن شاء الله ستنتهي الشدة.

فهذا يدلّ على أن الإدارة الفرنسية لم تأخذ العنصر الأهلي كأساس في سياستها، بل اكتفت بالاحتلال والاستيطان بأي وسيلة كانت، وادّخرت مجهوداتها لصالح مستوطنيها فقط.

وقد كان الطريق الرابط بين مشدالة وقبائل زواوة، وبخاصة منه الطريق المؤدي إلى عين الحمام من فجّ تيروردة، والطريق المؤدي إلى آث واسيف والأربعاء ناث يراثن على نقطة تيزي نكولال، أخطر الطرق لما تكبله السكان منه في حملة راندون ثمّ ثورة 1871، حيث سخرت السلطات الفرنسية خيرة ضباطها وقواتها لإخضاع المنطقة، ونظرًا لمخاطر هذه المسالك على السكان خاصة بعد استسلام سي الجودي ومشاركته إلى جانب السلطات الفرنسية، فقد كان أول من عرف ونادى بخطورتها على السكان، بل ترجّوا وتمنّوا من الله أن يغلقها، هي المرابطة الشهيرة لالا خليجة[33]، التي عبرت عن ذلك بواسطة هذه المقاطع الشعرية[34] التي قالت فيها[35]:

أَذْ يَرْقَلْ ثِيزِي نْكولاَلْ
أُرْدْجَبُــون إِقَــوَاوَنْ
لَمِحِبَ نْسَأن ذَغِلِيفْ
ثَمُوسْنِ نْسَانْ ذَسَوَنْ
وترجمته:
يسدّ منافذ تيزي نكولال
لكي لا يبقى للزواويين معبرا
محبتهم غبن وأحزان

ومصاحبتهم تعب وشر.

وإن كان هذا البيت يوضح خطورة الطريق ودعوتها لعدم التحاق الزواويين بالمنطقة، فإنه في الحقيقة كانت تقصد من ورائه عساكر وأتباع سي الجودي الذين بعد استسلام قائدهم للقوات الفرنسية، أصبح هو الذي يقود المحاولات العسكرية مع المحتل على قرى وادي الساحل، فكما يوضح خطورة طريق تيزي نكولال؛ فهو ينقل لنا علاقة هذه المرأة بـ"سي الجودي" التي كما تبدو علاقة غير وطيدة وحسنة. بل ويضيف الشاعر سي العربي نايت الشريف[36] من قرية آيت على أومحند التي تقع في دائرة الولن ببوزقان حاليا، في وصفه لوضعية السكان الذي أثقله المستعمر بالضرائب إلى درجة أن الأولياء الصالحين لمنطقة القبائل لم يُحرِّكوا ساكنا للأوضاع قائلا[37]:

عَشْرَ دُورُو ذَقَرُّو
سِيذِي المَنْصُورْ يَطْسْ
لَوْلِيَ تْفُوكْ ثْرُوحْ
أَمْلَاحْ سْبَعْ أَمْحَلَّسْ

وترجمته:

عشر دورو للرأس
سيدي المنصور (الجنادي) نائم
انتهى الملاح (من قرية ثملاحث) السبع المؤجج
الأولياء الصالحين واندثروا

2- القيم الإنسانية في شعر المقاومة: سنبين في هذا المبحث أهم القيم الإنسانية التي حملتها الأشعار المحلية في الفترة الاستعمارية، من خلال القضايا الإنسانية التي تعكس قيمها، والتي رافع من أجلها الشعراء، قضايا الدفاع عن الحالات والمآسي الاجتماعية، وسياسية الاحتلال، محاولين إظهار بعضها على سبيل المثال لا الحصر منها:

1.2- نبذ العنصرية والظلم وشحن العزائم: يُعدّ الظلم والتمييز العنصري، وبخاصة الديني من العوامل التي تركت المجتمع يتخبط في غياهب الجهل والتخلف، حيث كانت من الأسباب التي حالت دون نهوض الجزائريين ومواكبتهم للحضارة ، ولأجل ذلك صوّر شعراء الفترة انعكاساتها على الحياة الدنيوية وحتى الأخروية، وبينوا آثارهما الضارة وثاروا بألسنتهم

وأقلامهم على كل أنواع التعسّف والتسلط والممارسة الاستعمارية الشاذة التي حاولت أن تصنع أمجادها ولهذا يقول الشاعر أعمر ولحاج ناقما على المستعمر، ومحمسا للمقاومين قائلا[38]:

ثَكْرَامْ أَصْحَابْ وَشْبُورْ ذَنْبْ نَاغْ أَحْرُورْ
عَلِّي حَيْـذَرْ بُوعَمَـــامْ أَسَّرْزَامْ أَمْجُورْ
ثْعَمْذَامْ نَاغْ ذِيثَكْفَامْ

وترجمته:

انهضوا يا أصحاب المعالي مع نبينا الكريم الحر
علي حيــدر بـــــوعـمـام لتكسروا له انفه
تعمدتم أو لكم اليد الطولي

أما عن محاولة المستعمر للقضاء على الدين الإسلامي يقول الشاعر أعمر ولحاج[39]:

سْخِيظْ يَكْرَدْ غَفْ لَاصَلْ ذّدْنْيَـا تْبَـــدَّالْ
أَعْنِ ثْهُودْ وِينْ غَفْ ثْرَاسْ نَقْرَادْ ذِ صْنْدَّالْ
غَفَمَانْ مَبْلَ الرَايسْ

وترجمته:

جاءوا ليهدموا الأصل الأحوال تغيرت
أهل تهدم الأساس الذي بني عليه وتبقينا في وعاء
في بحر بدون قبطان

أما عن محاولته لاقتلاع الدين من نفوس السكان فيقول سي محمد وسعيد[40]:

يَرْزَ الدِّينْ بنْيِ المَسْعُودْ وَرْنَطِيفْ ذْقَسْ نْفْذَ
كْرَ ذِينْ يَغْمَلْ ذَغُوذْ غَاسْ مَا يْحُونْ صْحَابْ لْجُوذَا.

وترجمته:

كسر دين بني المسعود ولم نحفظ منه شيئا
كل شيء اندثر إلا إذا حنّ وعفا علينا صاحب الجلالة

2.2 الدعوة للتمسك بدين الله: حمل الشعراء عبئا كبيرا في تنبيه المجتمع لمكائد المستعمر، بخاصة فيما يخص مبادئه وأصله ودينه، وحذّر من الذي يقع في خطأ ترك دينه لأنه

سيخسر الدنيا والآخرة، وسيصبح عرضة للمهالك والمحن، خاصة ما تعرضت له المنطقة من سياسة التنصير، وفي هذا يقول المليكشي سي محمد سعيد[41]:

إِمِ ذَرُومِ نْخَدْمِيثْ ثُورَ أَغَابَنْتْ سْنَاثْ
ذَدِّينْ نْنْبِ نْزَّنْزِيثْ إِرْقَازَنْ قلَانْ ذَ لْخَلَاثْ
مِ ذَّلْمُوثْ نْسَّقَّاذِيثْ أَنَرْوُ لْعَارْ لْمَحْنَاثْ

وترجمته:

وعمل الفرنسي وغاب الاثنين
ودين نبينا بعناه كلانا الرجال والنساء
وبما أن الموت نخافها سنشبع من المحن والعار

بينما يدعو الحاج أعمر ولحاج المشدالي، ويناجي ربه بأن يغفر للضالين ذنوبهم قائلا[42]:

أَتْـــرْغَـدْ أَعَـــزَّوَجـــــل وَرْجَينْ يَغْضَارْ يِظَّسْ
دَعَّاخَكْ أَسْحِيذَرْ لَكْحَلْ ذَصْحَابْ أَثْوُزَّالْ إِنَّقَّسْ
أَجْمِعْ أَكْ نَحْضَارْ إِزْكُـلِ سِرْذَغْ دْنُوبْ مَنُومَسْ.

وترجمته:

نرجو مولانا عزوجل الذي لم ولن يغدره النوم
ندعو بسحيدر لكحل وأصحاب السلاح القاتل
جميعنا والكل يحضر اغسل لنا ذنوبنا غن توسخنا

وفي نفس المجال يرفع سي العربي ناث علي ومحند دعواته إلى خالقه مترجيا أن ينتهي جور هذا المستعمر قائلا[43]:

أَرَبِ نَدْعَاكْ سَرْسُولْ ذْلَمْوَالْفِينْ نْدَّرْسْ
كْرَانْ إِحَضْرَانْ عْفُويَاسْ مَنْعَاغْ سْثَقْنِيسْ نَلْحَرْصْ.

وترجمته:

ندعوك يا الله برسولنا وعلماء الدين
واغفر لكل حاضر بيننا وفك علينا الظروف العويصة

3- القيم الإصلاحية في شعر المقاومة

1.3 نبذ الفساد الاجتماعي: كيف لا يتوجّع القلب عندما تبرز مشكلات اجتماعية لم يألفها المجتمع المشدالي خاصة والقبائلي عامة، والتي وجدت مجاري في أوساطه، وحتى النساء اللواتي يعتبرن الحصن المنيع للرجل والمجتمع قد انحرفت بعضها لممارسة الشعوذة، التي كانت البؤرة التي تنمو فيها كثير من الآفات الأخرى التي تقف أمام الأفق والتطلع والتقدم عند الشعوب، كالجهل والتخلف والمرض، وما إلى ذلك من آفات اجتماعية خطيرة تحد من التطور، ولأجل ذلك أولى شعراء المقاومة اهتماما كبيرا بالقضية، وغاصوا في أبعادها؛ فمنهم الشاعر محند أو سعيد من مواليد القرن 19 بقرية إغزر عرش بني واقور، وتعرف عائلته حاليا بسعيدي، وهم يمتازون بقول الشعر في القرية، كطاوس نات محند وسعيد وفاظمة... وأخريات؛ فحمل الشاعر مهمة الإصلاح والتوعية حيث يقول واصفا الفساد الذي عم المنطقة في قصيدته "إفكان"[44]، أو "القردة" باللغة العربية.

لَدْهَاغْ لْخَدْمَ لَحْلَالْ كَشْمَاغْ ذَقْمَذَاغْ فَرْسَاغْ
سَنِّيَة أُوْلَاهْ أَنْتْخَلَالْ تَزُوغْ دِ لَجْنَانْ غَرْسَانء
شَانْتْ وِفْسِذَادْ لعْمَالْ مَا ذِيرَانِ يْبَكِ أَتْعَسَاغْ

وترجمته:

كنت مشغولا بخدمة كل ما هو حلال دخلت في الشعاب ملقما الأشجار
بنيـة لا غيـر اغرس في الجنان وأزيد
وأكلها المفسدين ولو أكثرت عليها الحراسة

وقد قدم الشاعر نصائحا للمجتمع إن كان هؤلاء المفسدين على الأرض، قد تعرضوا لأحد، على هذا الأخير أن لا يقابلهم بالسوء، وعليه أن يستعمل الحكمة والموعظة، ولا يتهور في قراراته قائلا[45]:

مَا جِيغْتْ يْذَهْرَاوَنْ الحَالْ مَا نْغِيغْ أُوْلَاهْ جِيسَاغْ
مَنَّاغْ وِدِمَانْ أَكَالْ ذِلْعِنْصَارْ فِي ذِ قْسَلْسَاغْ
أَرَيْثَدُو يْسَّزَالْ أَرَبَدَ وِرَزْ ذْغَانْ رَسَاغْ

وترجمته:

إذا تركتهم ترون النتيجة لو قتلته والله
تمنيت لـو أخذت التراب تركته فوق عين المياه

يمشي ويجري إلى مكان هادئ ساكن

إضافة إلى هذه الظاهرة، فقد كثر الفساد والخوف عند المرأة الناقصة في جانبها الثقافي وحتى العقائدي، خاصة إذا ما علمنا أن هذه الفترة تميزت بالجمود والركود الفكري، وأن بذرة الوعي الوطني لم تجد التربة الخصبة بعد، هذا بالإضافة إلى خلو الساحة من حركة إصلاحية واضحة المعالم لبث اليقظة والوعي في أوساط المجتمع، وإزاحة الجهل عنه، وهكذا تضافرت هذه العوامل لتجعل من دور المرأة في هذه المرحلة من الاحتلال دورا سلبيا لتصل درجة عالية من الخوف على أطفالها وحياتها، وبخاصة بعد أن استولى الفرنسي على أرضها بحكم قوانين سيناتوس كونسلت، وإذا عدنا إلى وضعيتها الاجتماعية، ورصدنا مظاهر تخلفها نجد ظاهرة الانحراف الديني المتمثلة في الطرقية المنحرفة، كانت المرأة المشدالية بحكم طبيعتها الساذجة وجهلها فريسة سهلة لهؤلاء المشعوذين، وكانت تعتقد أن هؤلاء هم الأولياء الصالحين الذين تستجاب دعواتهم، وبسبب الضعف والعجز إزاء حل مشاكلها والمواقف الصعبة التي تواجهها في الحياة ظنت أن تجد عندهم المفاتيح لحل مشاكلها.

وقد عكست بعض النصوص الشعرية هذه الظاهرة، وبدأت فكرة الإصلاح لهذه الظاهرة السلبية إذ أخذ الشاعر يرصد مثل هذه الظواهر محللا ومنظرا ومنذرا بعواقبها السلبية على المجتمع، ولعل أبرز قصيدة صورت هذه الظاهرة قصيدة مُحَنْد أومسعود الذي ولد بقرية تقربوست، وكان محيطه الدافع لأن يقول الشعر، ويحاول إصلاح البين في قصيدته المعنونة "إخشَانَ ذشحكُولن"[46] حيث يذم فيها المشعوذات قائلا:

أَكُنْتِ عَزّ رَبّي أَيَازَارْ نْتَمْشُومِينْ
أَذَكْنْتْ يَذْ رَبي أَمَّرَحْبَ نْتْغَظْوِنْ
خَمْسَ سَتَ أسْبُوعَشْرِينْ

وترجمته:

الموت لكن يا جذور الويلات (المشعوذات)
ويجعلكن الرب كسليل المعز
خمسة، ستة، وعشرون

كما يضيف قائلا في المشعوذة التي تحاول إفساد العائلات، وإيجاد محور الأزواج وقيدهم[47]:

سْلَامْ عْلِيكُمْ أَثْـزْكَـاخْثْ غُورِ أَرْقَازْ ثْضَلْمِتْ ثَمْغَارْثْ
مَدْ يَكْشَامْ أَرَرَغْثْ سْتَمْرَارْثْ فْغَاغْ أَذْ نْذِيغْ أَكْ ثَدَارْثْ

وترجمته:

السلام عليك يالحمراء لدي رجل ظلمته عجوز
عندما يدخل تديره بحبل أرادت أن يتعارك مع أهل قريته

وقد حاول محند أمسعود مكافحة هذا السحر، ضاربا المثل بتلك المرأة التي تشد زمام الأمور، وتحافظ على بيتها مهما كانت الظروف، ولا تحاول أن تشرك في عقيدتها، ممتدحا وشاكرا لها قائلا[48]:

سْلَامْ عْلِيكْ إِيسْغَازْ سِيفْ
أَرْقَازِ يوْ ذْبَابْ نَنِّيفْ
غَاسْ إِسْغِ أَيْسْهَثْرِيفْ
يَحْزَنْ لَجْمَعْ وَرْيَطِيفْ
أَدْيَزْوِيرْ رَبِّ زْذَاَثاسْ
أَمَرْ أَذَقْرِيغْ إِلْحِيفْ
حَرْزِيكُمْ أَمَلْبُوسْ أُضْرِيفْ
لْقْدْ نْتَزْذَايْتْ نَحْنِيفْ
ذَدْهَبْ أَعْزِيزَنْ أَتْصَّرِيفَ

وترجمته:

سلام عليكم يا أصحاب السيوف
الرجل صاحب الشهامة و النيف
رغم انه الآن يهترف
عم الحزن و فشل الجمع الذي لم يحظر فيه
الموت لي قبله
أو أني سأعاني الحياة الصعبة
يحفظك يا صاحبة اللباس الظريف
ويا صاحبة القامة كنخلة أحنيف

ستتصرفين الذهب الخالص

تلك هي الوضعية الاجتماعية للمرأة المشدالية، في ظل الاستعمار التي اتسمت بالتخلف والتدهور نتيجة للعوامل الاستعمارية. لهذا لا نستغرب وصف الأستاذ سعد الله للحياة الأدبية خلال الربع الأخير من القرن 19 بقوله: "إن شعراء هذه الفترة حاولوا التجاوب مع روح العصر لكن دون نجاح ملحوظ"[49].

2.3 إصلاح الأفكار: لم تكن محاولة الإصلاح لمظاهر الفساد الاجتماعي فقط بل هناك محاولات لإصلاح الأفكار والأذهان، وهي ما حملته مآثر لالا خلجية، حيث رفضت أن توصف بالمشعوذة لأنها تدرك معناه جيدا، وما يخلفه من سلبيات للمجتمع، فهي حاولت إصلاح اللب ومواجهة من يروج لهذه الأفكار، لأنها تدرك أن للعلماء مكانة، وتنفي وتحارب من يرفع الشعارات وهو يجهل معناها، كما تذكر الولية هؤلاء الذين يدعون العلم وهم ليسوا أهلا له، كما فعل السادة العلماء (طلاب العلم) الذين قصدوها يوما من زواوة، مدعين أنهم العلماء، وما لالا خلجية إلا مشعوذة، فلهذا جادلتهم بالبينة، متسائلة في هذه الأبيات إن كانوا حقا علماء؛ فلماذا يطلبونها في بركتها، وفي هذا تقول[50]:

أَيْنْ أَسْيَـاذْ أَلْعُلَّامْ ثِوِيمْ أَبْرِيذْ مِ ثَسْنَامْ
ثَنْفَمَّاغْ نَكْـنِ ذَنِّيَةأَذْيَاقْ سِيذِي إِقْسَتْحْصَنْ
ذْنَّسَّ إِقْبْنَانْ لَشْقَافْ أَيْنْ يَخْزَنْ ذِقْسَانْ يَسَّانْ

وترجمته:

لماذا يا سادة العلماء انتهجوا نهجكم ان كان يقينا
دعونا نحن على نيتنا وليكن الله حاكما بيننا
فهو من بنى الصدور يدرك أسرارها المختزنة

وفي هذه المحاولة تركت كلامها المأثور[51]:

لَمْحِبَ نْسَانْ ذَغِلِيفْ ثَمُوسْنِ نْسَانْ ذَسَوَنْ

وترجمته:

محبتهم غبن وأحزان ومصاحبتهم تعب وشر

الخاتمة: في نهاية هذه الورقة يمكن القول إن كل ما ذكرناه من أشعار لا يعني أننا اطلعنا على كل الإنتاج الشعري للمنطقة، والممتد زمنيا طيلة مرحلة الاحتلال، ورغم ذلك يمكن أن نستخلص ما يأتي:

- ساير شعراء مشدالة مراحل تاريخ الجزائر منذ اليوم الأول لسقوط العاصمة، وما خلّفه من دمار ونهب، ما يتضح من خلال ظهور قصائد شعرية شعبية مبرزة السبب الرئيسي لاحتلال الجزائر الذي يكمن في الجانب الاقتصادي بالدرجة الأولى، وهنا يمكن اعتبار هذا الشعر مصدرا تاريخيا هاما في التأريخ المحلي الذي هو جزء من التاريخ العام للجزائر.

- إسهام شعراء مشدالة في النضال، ورسم معالم المقاومة بدفع المقاومين وتذكيرهم دوما بما حل بهم مع الغزو الفرنسي، وفي مناحي حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بمحاولة إبعادهم عن دينهم بتسليط الحركة التنصيرية، كما حاولت بث الجهاد، وشحن العزائم، وبذلك لعب الشعر دورا دعائيا إعلاميا، وذلك من خلال رصد مختلف الأحداث التي عرفتها المنطقة، وحاول الشعراء تخليدها، ويمكن الاعتماد على بعضها خاصة إذا كانت الوثائق لا تدون ذلك.

- لعب شعراء مشدالة دورا فعالا في التعبير عن أحاسيسهم النبيلة التي ترمي للبعد الإنساني، فنظموا شعرا ينادي للتحرر، ومن هنا فإن الشعراء قد وضعوا لبنة في كتابة تاريخ مشدالة دون قصد، بتخليدهم لما جرى من أحداث بالمنطقة خلال الاحتلال الفرنسي لها.

- حمل شعراء مشدالة مهمة الإصلاح بعد تدهور الأحوال الاجتماعية التي سببها الاستعمار، فكان على العموم شعرا يدور بين رسم ملامح حزن وتحسر، وبين شعر حامل للمعاناة والتوجع والشقاء، وفي شعر مقاوم لسياسات الاستئصال والفرنسة والتغريب، متمسكا بأصالته ودينه وأرضه، ومثل الشعراء شعبهم أصدق تمثيل، ورغم المصائب وهول سياسات الاستعمار؛ فإن ذلك لم يزدهم إلا توحيدا وإيمانا بمجيء يوم الجلاء والثأر.

الهوامش:

1- تقع قبيلة مشدالة على ضفاف واد الساحل، يحدها من الشمال كلّ من آث بوذرار وبني بوعكاش التابعة لبني واسيف، ومن الشمال الشرقي بني واقور وبني كاني، ومن الغرب بني يعلى وبني عيسي ومن الجنوب واد الساحل ومن الشرق قرية شرفة وتنقسم مشدالة إلى مجموعة من القرى مكونة بذلك عرش مشدالة، وهي كالآتي: "إمزْذُرَارْ، إلييثن، وآث حماذ، وآث علي وثميم، وآث ولبان، وإبلبارن (بلبارة)، وصحاريج، وبني يخلف، وأولاد إبراهيم.وتعود أصولها إلى أصول بربرية، وهي من إحدى بطون قبيلة زواوة التي تتوزع إلى بني كوفي، ومشدالة، وبني رزيقف، وبني مرانة، وبني منقلات، وبني غبرين، وبني جناد، وبني واقنون، وفراوسن وآث إيراثن، وإفليسن...في ذلك أنظر: عبد الرحمان ابن خلدون - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر- ط 5-ج 6- دار الرائد العربي- بيروت- لبنان- 1402 هـ/ 1982م- ص 152.

2- Si Ammar ben Said Boulifa - Recueil de poesie kabyle- présentation par TassaditYacine-Paris-Alger-1991-ED Awal- p 45.

3- خالد عيقون- البعد الروحي في الشعر الشعبي الأمازيغي- شعر "سي محند أومحند" نموذجًا- أستاذ بجامعة مولود معمري تيزي وزو- الملتقى الوطني الرابع لأعلام البويرة- تحت شعار- الحياة الروحية في منطقة البويرة بين الأصالة و المعاصرة- من تنظيم مديرية الشؤون الدينية لولاية البويرة- أيام 20-21ماي 2008.

4- مليكة القورصو - يسمينة سعودي- جارية بن ناجي- الجزائريات أثناء حرب التحرير الوطنية مواقف ومسارات 1954-1962، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث- الامال للطباعة والنشر والتوزيع-نوفمبر 2016.-ص.192.

5- Hanotaux. A -poésies populaires de la kabylie du jurjura- texte kabyle et traduction- Challamel-éditeur commissionnaire – Paris- Bastide- Libraire- éditeur- Alger-1867-p v.

6- Jean Amrouche- chants berbères de kabylie- préface de M. Mameri- Ed l'Harmaltam- 1988- pp 48-50.

7- غيلاني السبتي- الأغنية الشعبية الثورية الأوراسية مصدرا شفهيا مكملا لأحداث الثورة التحرير 1954-1962- مجلة دراسات وأبحاث- العدد 24- السنة الثامنة- سبتمبر 2016- ص .37

8- تاسعديت ياسين- رشيدة سعدوني- أشعار سي محند أومحند الثائر الجوال- دنيا الوطن-25 مارس 2014.

Pulpit.alwatanvoice.com/articles تاريخ الزيارة 2020/11/27.

9- Hanoteau- op. cit - p v.----10- C.A.N.A, 95, Rejet de la réclamation des indigènes des Beni Mansour, 30 Juin,1884. Vu le 22-01-2004.

للمزيد في الموضوع أنظر: يسمينة سعودي- النظام العسكري والإداري في مشدالة ما بين 1830 و1897- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر- قسم التاريخ- جامعة الجزائر -2004- 2005- ص43 (غير منشورة).

11- مرسوم إمبراطوري صدر بتاريخ 22 أفريل 1863 المعروف بـ قانون "سناتوس كونسولت" القاضي بتمليك الجزائريين الأراضي التي تحت أيديهم سواء كانت في الأصل ملكًا شخصيا لهم أو مشاعة بين الأعراش. أنظر في ذلك:

COLLOT Claude - Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale (1830 -1862)- Paris, Edition du G.N.R.S. Alger- O.P.U- 1987, p 9.

12- C.A.N.A, 95, Rejet de la réclamation des indigènes des Beni Mansour, 30 Juin,1884. 2004//01/22visiter le .----13- C.A.N.A, 1HH74, Statistiques et renseignements. visiter le 2004 /02/27 .----14- A. P, Lettre intitulée « Les meilleures », 1895. 19/04/2003.

15- بمقتضى مرسوم 29 أفريل 1868، حددت المناطق الحربية والمراكز العسكرية في منطقة القبائل أين وضع النصب المحدد لمركز بني منصور، كمركز ثم ملحقة عسكرية، لتتطور حتى يصدر قرار 1 ديسمبر 1880 لتصنف كبلدية مختلطة .أنظر في ذلك: يسمينة سعودي، المرجع السابق، صص81-142. و في موضوع البلديات المختلطة أنظر:

-COLLOT Claude - Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale (1830 -1862)- Paris, Edition du G.N.R.S. Alger- O.P.U- 1987.---- -CHAMP Maxime- Le commune mixte d'Algérie- 2ème éd.- Edition P.S.G- Soubiron- Alger, 1925.----16- Hanoteau- op. cit ; 1.

أنظر أيضا أمحمد جلاوي، أشعار شعبية من قبائل جرجرة، قراءة نقدية في كتاب هانوطو، منشورات زرياب، الجزائر(د.ت)، ص ص 45- 49

17- Hanoteau- op. cit ; 1.

18- أمحمد جلاوي- المرجع السابق- صص45- 49.

19- Hanoteau-op. cit ; p 2.

20- أمحمد جلاوي- المرجع السابق- ص45.

21- Hanoteau-op .cit ; p 3.---- 22- Ibid- pp 4-5.----- 23- Ibid- pp 8-9.----24- Ibid- p 13.

25- أمحمد جلاوي- المرجع السابق- ص48.

26- Hanoteau- op .cit ; p23.

27- أمحمد جلاوي- المرجع السابق- صص83- 85.

28- Hanoteau-op .cit ; p130.

29- الراوي: محمد بن عبد الله، 89 سنة، بلديّة أهل القصر، 2016، الزيارة يوم 2016/03/24 ----30- جلول يلس وأمقران الحفناوي- المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر- 1974-ص100.-----31- يسمينة سعودي، المرجع السابق، ص93.----32-

روته السيدة: ب. ت.لدى زيارتنا لها في بيتها 2016/03/23 ، وهي من عرش مشدالة.----33- لالة خديجة، هي مرابطة شهيرة من عرش مشدالة عاشت في القرن 19م، وقد ترأست الزاوية الرحمانية.----34- وقد اختلفت الروايات لهذه المقطوعة. انظر: امحمد جلاوي-المرجع السابق- ص 159.

35- Mammeri Mouloud- Poèmes Kabyles en vie- éd. Laphonic-Alger- 1988-p 382.

36- Hanoteau-op .cit ; p 69.----37- Ibid, p74.----38- Ibid, p11.----39- Ibid, p17.----40- Ibid,p23.----41- Ibid, p25.----42- Ibid, p19.----43- Ibid, p74.---- 44- Ibid, p 279.----45- Ibid, p 279---- 46- Ibid, p309.-----47- Ibid, 310.-----48- Ibid, 315.

49- أبو القاسم سعد الله- دراسات في الأدب الجزائري الحديث- دار الآداب- بيروت- 1966- صص29- 30

50- Ibid, p281.----51- Ibid, 282.